

الحب.. فلا تكاد الواحدة منهن تسمع لفظا عاديا من ألفاظ المدح التي يستدعيها حسن المجالسة وأدب الحديث حتى يثب خيالها من فرط اللهفة إلى سماء الوهم السابعة».

فقلت — وقد برمت بهذه المحاضرة: «أتريد أن تقص حكاية أم أن تتفلسف؟ يجب أن أعرف لأعد نفسي، وأتهياً لما سألقى».

فقال: «طيب.. قلت لك أن هذه الفتاة — «إحسان» توهمت — أو أنا خفت أن تكون قد توهمت — أنى أحبها. ولست أكرهها أو أستثقلها فإنها ظريفة جدا، ولكنها ليست الفتاة التي أختارها للزواج ولا سيما بعد أن عرفت «حورية»». قلت: «إنى أهنئك».

قال بلهفة: «أو تعرفها؟ أليست بالله مدهشة؟ ألا ترى أنها..» قلت — وأنا أرفع يدي لأصد هذا السيل المنحدر: «مهلا.. مهلا.. أنى لى أن أعرفها؟ إنما راقنى الاسم وجرى في خاطري أنك.. لعلك..».

فلوح بيده وقال: «إنك ثقيل.. تخجل المرء وتلقى على حماسته ماء باردا.. ما هذه الطبع السخيفة؟ لماذا تحب أن تصدم الناس على هذا النحو القاسي؟» قلت: «آسف يا صاحبي.. لم أصدك.. ولو كنت أعلم أن كلمتي سيء وقعها في نفسك إلى هذا الحد لما نطقت بها. والآن ارجع إلى حوريتك، فإن اسمها يبشر بحكاية...».

قال: «أو هذا كل ما يعينك ... الحكاية ليست إلا ... شيء بارد». قلت: «يا أخی كن منصفاً ... هل تريد أن أحب حوريتك هذه من فرط حبك لها وأعجابك بها؟ قال: «أعوذ بالله» قلت: «انتبهنا إذن ... هات الحكاية».

فاقتنع وقال: «الحكاية أن حورية أهدتني ببغاء صغيرا وقطة أيضا.. لا أدري لماذا؟ ولكن لعلها ظنت أن بيتي حديقة حيوانات.. على كل حال هذا ما حدث.. ثم سافرت، وخطر لى أنى أستطيع في فترة غيابها أن أنخلص من «إحسان» حتى إذا عادت حورية، وجدت الميدان خاليا.. فقد كنت أخاف أن ترى إحسان معى مرة فتظن بى الظنون وإن كان لا محل لها في الحقيقة، فما بينى وبين إحسان ما يدعو إلى أى ظن.. ولكن النساء لا يفهمن الصداقة، ولا سيما بين الرجل والمرأة. وإحسان — كما تعلم — رقيقة الإحساس جدا، دقيقة الحساب والتقدير لكل حركة. وكانت أُمى تحبها وتخالفنى في رأى فيها.. ولكنى كنت أقول لها — أعنى لأُمى — إنى أنا الذى سيتزوج لا أنت، فاسمحي لى بحرية الاختيار. وأختصر فأقول: إنى اتفقت معها —